

قراءة لنظرية صدام الحضارات لصموئيل هينتنغتون. دراسة نقدية
A Reading of the Clash of Civilizations Theory by Samuel Huntington. A critical study

عامر أحميز

المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة

amerouhize@gmail.com

تاريخ النشر Publication date	تاريخ القبول Acceptance date	تاريخ التلقي Submission date
2020-12-27	2020-10-15	2020-09-04

ملخص الدراسة:

يُعرف صراع الحضارات أيضاً بصدام الحضارات؛ يُشير هذا المصطلح إلى الاختلافات السياسية والاقتصادية والمندلعة بين الدول القومية خلال الفترة التالية للحرب الباردة، وقد جاءت على شكل في أطروحة "صدام الحضارات وإعادة تشكيل النظام العالمي" لمؤلفه العالم السياسي الأمريكي صامويل هنتنغتون نشرها عام 1993م؛ حيث قَدّم نظريّةً ليصف ما يدور حول الحضارات الكبرى المُشاركة في الحرب الباردة، وهي تعد من أخطر النظريات على المسلمين لما لها من آثار عدائية للحضارة الإسلامية والإسلام والمسلمين.
الكلمات المفتاحية: الحضارة - الصدام - الإرهاب - الثقافات

Abstract :

Conflict of civilizations is also known as the clash of civilizations, The term refers to the political, economic and interstate differences between nation-states during the post-cold-war period. It was shaped as a thesis named "clash of civilizations and the reshaping of world order" of the American political scientist Samuel Huntington, published in 1993. He presented a theory to describe what is going on around the great civilizations participating in the cold war, and it is considered one of the most dangerous theories on Muslims because of its hostile effects on Islamic civilization, Islam and Muslims.

Key words: Civilization - Clash - Terrorism - Cultures

مقدمة:

دفعت نهاية الحرب الباردة سنة 1991م الكثير من المفكرين إلى إعادة النظر في نظرياتهم التي تحاول تفسير السياسة والعلاقات الدولية، وعبر ما يزيد عن نصف قرن من الزمان بقيت النظرة إلى العلاقات الدولية تنطلق من منظور واقعي وأخر ليبرالي، فالرؤية الواقعية لا ترى في طبيعة العلاقات بين الدول إلا علاقة صراع ومنافسة والأصل هو أن الدول في حالة تهديد متبادل مستمر أما الرؤية الليبرالية فتري أنه من الممكن أن تكون العلاقات الدولية علاقات تعاون ضمن شروط أهمها وجود حكومات ديمقراطية وتعاون اقتصادي بالرغم من الإضافات الجديدة لكل من الواقعية والليبرالية إلا أنه ظهرت نظريات جديدة تحاول وصف شكل العالم وتفسيره، ولعل النظرية الأكثر إثارة لتفسير مستقبل العلاقات الدولية لمرحلة ما بعد الحرب الباردة جاءت من قبل صموئيل هينتنغتون والذي طرح نظريته بداية على شكل مقالة بعنوان "صدام الحضارات" والتي أحدثت جدلا كبيرا في صفوف المفكرين والمؤرخين خاصة نظرتها للإسلام الذي تعتبره القوة الوحيدة التي مازالت تقاوم وتسعى لهزيمة الديمقراطية الليبرالية في كثير من أجزاء العالم.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو ما تأثير هذه النظرية في تشكيل الواقع الدولي المعاصر؟

1-تعريف الحضارة:

عرف كارل ماركس الحضارة تعريفا صراغيا حيث يقول إن كل اكتمال تاريخي لا يكون إلا نتيجة الضرورات المادية وحاجات الإنسان الأساسية وبالتالي الوسائل الفنية التي يخترعها ويستعملها في تلبية تلك الحاجات، فالحاجة والفن الصناعي يمثلان مركزي التقاطب لقوى الإنتاج المركزيين اللذان يحددان العلاقات الاجتماعية الخاصة بحضارة معينة كما يحددان هذه الحضارة ذاتها ماديا ومعنويا (صبري، دون سنة، ص 117)

حسب ماركس فالبنية التحتية تحدد نمط التفاعل الفوقي أي بصياغة أخرى الصفة الإنتاجية تحدد طبيعة البناء الاجتماعي فهو يرجع التطور نحو الحضارة من خلال المتغير المرتبط بالدولة في ظل تطور المجتمعات من التركيبية البسيطة إلى الأكثر تعقيدا (بوربي، ع3، ص 71)

أما أرنولد توينبي فيعرف الحضارة تعريفا مرتبطا بنظريته القائمة على التحدي والاستجابة فبالنسبة إليه تنمو الحضارات بالتحدي الأقصى بدافع حيوي تكون فيه الاستجابة لرد وحيد ناجح باكتساب قوة الدفع إلى الأمام بانتهاج معارك جديدة (الخطيب، 1986، ص21)

يربط توينبي نشوء الحضارة واستمرارها بوجود الدافع الحيوي الذي يعمل على تقدمها ونموها حيث في غياب الرد أي الاستجابة على هذا الدافع تنهار الحضارة التي هي تفاعل ديناميكي وليس ستاتيكي، لكن من الصعوبة بمكان قياس متغير الدافع الحيوي من مجتمع لآخر (بوربي، ع3، ص 71)

أما مالك بن نبي فيعرف الحضارة أنها إنتاج فكرة حية تطبع على مجتمع في مرحلة ما قبل التحضير للدفعة التي تجعله يدخل التاريخ، فيبني هذا المجتمع نظامه الفكري طبقا للنموذج المثالي الذي اختاره وعلى هذا صياغة خصائص تتحكم في جميع خصائصه التي تميزه عن الثقافات والحضارات الأخرى (مالك بن نبي، 1988، ص 49) وبالنسبة لفرانيس فوكو ياما فقد ذهب في إطار الصيرورة التاريخية إلى أنه لا يجب النظر للتاريخ على أنه مجرد تتابع للحضارات المختلفة والوعي هو الأسلوب الذي يفكر به البشر حول مسائل جوهرية خاصة بالحق والباطل والأنشطة التي يحدثونها مرضية ومقنعة ومعتقداتهم عن الآلهة وحتى الطريقة التي يتصورون بها العالم (فوكو ياما، 1992م، ص 26)

وهناك من يرى أن الحضارة جزء من التاريخ فعرفها حسين مؤنس في مفهومها العام أنها ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته سواء أكان المجهود المبذول للوصول لتلك الثمرة مقصودا أم غير مقصود، والثمرة مادية أم معنوية وهذا المفهوم للحضارة مرتبط أشد الارتباط بالتاريخ لأنه هو الزمن والثمرات الحضارية تحتاج للزمن أي أنها جزء من التاريخ (مؤنس، 1978، ص 13)

ويمكن إدراج مختلف تعاريف الحضارة تحت المقولتين التاليتين:

- وجود ثقافات قومية متعددة وحضارة إنسانية واحدة فكثرة العناصر وتنوعها ضمن الوحدة تلك هي الثقافات، أما عملية اندماجها وانصهارها في قالب واحد فتلك هي الحضارة. (زيادة، 1978م، ص374)

2/ هي ثقافة مجتمع كبير تدوم لفترة طويلة من الزمن فكل حضارة مكونين أساسيين هما الثقافة والمدنية، فالأولى تعبر عن الجانب الفكري للحضارة، والثانية تعبر عن الجانب العملي للحضارة وهذان المكونان يفتحان مجالات عدة لتلاقي الحضارات (بشوق، 2011م، ص11)

ذهب توينبي إلى أن نشأة الحضارة جاءت بتحول مفاجئ من المجتمع البدائي نتيجة دافع حيوي وأن للجنس (العرق) البشري دور في إيجاد الحضارة وهذه الأجناس وجدت منذ خمسة آلاف سنة، (بشوق، 2011م، ص12) إن الاختلاف في نشأة الحضارة يعود للاختلاف في تحديد عناصر الحضارة فها هو ابن خلدون يحدد عناصر الحضارة في عناصر الدولة في ظل ارتباط الحضارة بالعمران (خلدون، 1992م، ص 294)

أما مالك بن نبي فيحدد عناصرها في تفاعل ثلاثة أمور هي: الإنسان، التراب والوقت تفاعلا وظيفيا ة تولد مركبا محددًا بالعامل الديني(نبي، 1986م، ص 26)

وهناك من يقسمها إلى حضارة مادية معيار التصنيف فيها يكون على أساس (تجاري، صناعي وفلاحي)، وحضارة معنوية على أسس ثقافية.

عندما تتفاعل كل هذه العناصر تعطي خصائص الحضارة وأهم ما يميزها أنها عملية جامعة باعتبارها نتاج تفاعل الجنس البشري، وتنتشر بسرعة باعتبارها عملية مستمرة من التراث الفكري والمادي في ظل التحول من مجتمع لآخر ومن جيل لآخر وهذا ما جعل صفة الاستمرار من الميزات الأساسية للحضارة (بوري، ع3، ص 71)

2-التعريف بصموئيل هينتنغتون:

ولد صاموئيل هينتنغتون في 18 أبريل 1927م بمدينة نيويورك في أسرة ميسورة الحال تخرج بدرجة امتياز من جامعة يال و عمره 18 سنة فقد أكمل دراسته بها في غضون سنتين ونصف بدل 4 سنوات فقد دخلها وعمره 16 سنة ، حصل على الماجستير من جامعة شيكاغو و دكتوراه في العلوم السياسية من جامعة هارفارد، بدأ التدريس و عمره 23 سنة إذ انضم إلى السلك التدريسي في جامعة هارفارد منذ عام 1950م إلى تقاعده سنة 2007م باستثناء المدة الزمنية الواقعة بين 1959-1962م عندما كان أستاذا مساعدا في جامعة كولومبيا(قيس، 2012م، ص 4)

يعد هينتنغتون واحدا من أكبر علماء السياسة الموسوعية وواحدا من رواد العلوم السياسية المقارنة، كان رئيسا للجمعية الأمريكية للعلوم السياسية، وله نفوذ ومكانة مرموقة في الدراسات الاستراتيجية فقد كان رئيسا لأكاديمية هارفارد للدراسات الدولية والإقليمية وعمل مديرا لمعهد أولين (OLIN) للدراسات الأمريكية (السياسة الخارجية) وعني في المقام الأول بالسياسات المقارنة بين دول الجنوب والمجتمعات ما بعد الصناعية وأسندت إليه مهمة قسم التحليل والاستشراف في مجلس الأمن القومي، واعتاد على تقديم تقارير ودراسات واستشارات إلى الدوائر الرسمية والاستراتيجية في الو م أ، ولا تخرج دراسته حول صدام الحضارات عن هذا الإطار فهي نتاج لمشروع معهد أولين حول بنية الأمن المتغيرة والمصالح الوطنية الأمريكية(محمد، 2006م، ص 80)

توفي هينتنغتون يوم 24/12/2008م وذكرت جامعة هارفارد في يوم 27/12/2008م أن هينتنغتون الذي درس فيها على مدى 58 سنة قبل تقاعده سنة 2007م توفي يوم 24/12 في دار الرعاية للمسنين في ماشافينيارد في ماساتشوستس(محمد، 2006م، ص 80)

له العديد من المؤلفات يدور أغلبها حول السياسة:

- 1/ الجندي والدولة 1957م.
- 2/ النظام السياسي في المجتمعات المتغيرة 1968م.
- 3/ الموجة الثالثة للديمقراطية 1991م.
- 4/ صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي 1996م.
- 5/ كتاب من نحن؟ (التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية)

3-فكرة صدام الحضارات خلال القرن العشرين:

ما شهدته القرن العشرون من حروب بين دول تنتمي إلى حضارات مختلفة دفع بعض المفكرين إلى إرجاع أسباب هذه الخلفية الحضارية التي تنتمي إليها هذه الدول ولم يتوقف التأمل الفكري عند هذا الحد بل تجاوزه إلى تقديم رؤية عن العلاقات الدولية المستقبلية المتمثلة بصدام الحضارات، ولم يكن هينتنغتون الوحيد الذي قدم مثل هذه الرؤية بل سبقه عدة مفكرين قالوا بهذه الأطروحة:

لعل أبرز من تحدث عن صدام الحضارات في بداية القرن العشرين هو أرنولد توينبي إذ كان حديثه عن هذه

الفكرة جزء من تصوره لاهتمامات المؤرخين في الثلاثة آلاف سنة المقبلة فذكر أن أهم قضية سينشغل بها المؤرخون هي قضية الصدام الحضاري.

فقد تناول توينبي هذا الموضوع بصورة واضحة في كتابه الحضارة في الميزان، إذ بدأه بسؤال حاول الإجابة عنه في صفحات الكتاب ونص السؤال يمثله قوله: "ما هي الحادثة التي سيقع عليها اختيار مؤرخي المستقبل و يرون أنها أبرز الحوادث في عصرنا إذا ما نظروا وراءهم إلى النصف الأول من القرن العشرين و حاولوا أن يروا ما جرى فيه من وجوه النشاط و التجارب بتلك السنة الدقيقة التي تكشف عن النظرة الشاملة إلى الزمن في بعض الأحيان؟" (أرنولد، 2006م، ص 247)

ينفي توينبي أن تكون الحادثة التي ستشغل القرن العشرين من الحوادث السياسية والاقتصادية المفجعة المثيرة أو المفجعة التي تشغل عناوين الصحف وتحتل مكان الصدارة في أذهاننا، ولا من الحروب و المجاعات و النفي و المذابح... إنما الأمر الذي يشغل مؤرخي المستقبل هو صدام الحضارة الغربية بسائر الحضارات الأخرى و هذا ما يشير إليه بقوله: "إن مؤرخي المستقبل سيقولون أن الحادثة الكبرى في القرن العشرين هي صدام الحضارة الغربية بسائر المجتمعات الأخرى القائمة في العالم إبان ذلك العصر، وسيقولون عن هذا الصدام أنه بلغ من القوة و الشمول بحيث أدى لقلب حياة ضحاياه رأساً على عقب و أثر بشدة في سلوكهم و آرائهم و مشاعرهم و عقائدهم رجالاً و نساء و أطفالاً من أوتار الروح ما لا تحسه القوى المادية الخارجية وحدها مهما بلغ من شدتها و هولها، إنني أعتقد أن هذا ما سيقوله المؤرخون الذين ينظرون خلفهم إلى عصرنا حتى من تلك السنة القريبة منا و هي سنة 2047م (أرنولد، 2006م، ص 247)

أما المفكر الآخر فهو برنارد لويس إذ يذكر في مقدمة كتابه (في الإسلام سنة 2005) و بافتخار أنه كان أول من أطلق عبارة صدام الحضارات و ذلك منذ عام 1957م بعد الأزمة التي أثارها قضية تأمين قناة السويس من قبل جمال عبد الناصر في 29 سبتمبر 1956م، إذ يقول في هذه المقدمة: "باستطاعتنا أن نفهم مشاعر الاستياء و الحقد الذين هيمنوا على شعوب الشرق الأوسط، و في هذه الأيام إذا اعتبرنا أن التوتر القائم الآن ليس ناجماً عن صراع بين دول و أمم و إنما هو نتيجة لصدام بين حضارتين...، لقد بذلت جهدي من أجل تقديم شكل الشرق الأوسط باعتباره ليس مجرد صراع بين الدول بل هو صدام بين الحضارات" (أرنولد، 2006م، ص 249)

لم يكتف برنارد لويس بقوله صدام الحضارات سنة 1957م بل أعادها في عام 1990م إذ يقول "علينا أن نفكر في الأمر على أنه صدام للحضارات و رد فعل قد يكون انفعالياً ولكنه بالتأكيد حقيقي و تاريخي، إنه رد فعل خصم قديم لثرائنا اليهودي و المسيحي و لحاضرنا الحدائي المعاصر (عبد الرزاق، 2007م، ص 124)

4- طبيعة أطروحة صدام الحضارات لهينتنغتون:

هذه الأطروحة تطوير لما حملته مقالة هينتنغتون "صدام الحضارات" المنشورة في مجلة شؤون خارجية، حيث أن الفكرة الرئيسة في هذه الأطروحة هي أن الثقافة أو الهوية هي في أوسع معانها الهوية الحضارية التي تمثل نماذج التماسك و التفكك في عالم ما بعد الحرب الباردة (عبد الرزاق، 2007م، ص 125)

فالعامل الثقافي سيكون المصدر الجوهرى للتصادم في عالم ما بعد الحرب الباردة و هذه الصدمات الرئيسة للسياسات الكونية ستحدث بين الدول و المجموعات المنتمية لحضارات مختلفة، إذ سهيمن صدام الحضارات على السياسات الكونية و من المتوقع أن تنشب الصدمات و أعمال العنف أيضاً بين الدول و الجماعات ضمن الحضارة الواحدة لكنها تكون أقل حدة و أقل فرصة للانتشار من الصدام بين الحضارات المختلفة فالانتماء المشترك لحضارة واحدة يقلل من إمكانية اندلاع العنف في الحالات التي تحدث فيها بين المنتمين لحضارات مختلفة (صماوييل، 1994م، ص 116)

سيكون صدام الحضارات أحدث مرحلة في تطور النزاعات في العالم الحديث وهذه النزاعات كانت تحدث داخل إطار الحضارة الغربية حيث كانت حروباً بين الدول الغربية، ومع انتهاء الحرب الباردة انتقلت السياسات العالمية من طورها الغربي ليصبح محورها الأساس التفاعل بين حضارة الغرب والحضارات الأخرى (صموئيل، 1994م، ص 117)

يذكر هينتنغتون أنه ليس منطقياً وصف بلدان العالم بعد انتهاء الحرب الباردة على أساس أنظمتها السياسية و الاقتصادية وإنما على أساس ثقافتها حيث تشترك الدول الغربية بلامح ثقافية تميزها عن المجتمعات الإسلامية أو الصينية و أن المسلمين و الصينيين والغربيين ليسوا جزء من كيان ثقافي أوسع بل إن كلا منهم يشكل حضارة بذاتها (صموئيل، 1994م، ص 117)

يبين هينتنغتون أنه من بين كل المقومات الموضوعية (الدم، اللغة والديانة) التي تحدد الحضارة فإن أكثرها أهمية عادة الدين، ويرجع هذه الأهمية لما أكده الأثينيون، وأن الحضارات الكبرى في التاريخ البشري كانت قد ارتبطت في تحديدها بالديانات العالمية العظمى، فالحضارة هي كيان ثقافي في أوسع معانيها، كما أنها أعلى تجمع ثقافي للبشر وأوسع مستوى من الهوية الثقافية (صموئيل، 1994م، ص 105) يقسم هينتنغتون الحضارات إلى سبع والثامنة محتملة وهي كالاتي: الحضارة الغربية، الصينية، اليابانية، الإسلامية، الهندوسية، السلافية الأرثوذكسية و الحضارة الأمريكية اللاتينية والثامنة هي الحضارة الإفريقية.

يرى هينتنغتون أن أسباب الصراع بين الحضارات هي:

-الاختلاف بين الحضارات والذي يعتبره أمراً أساسياً لكنه لا يؤدي بالضرورة إلى الصدام (صموئيل، 1994م، ص 117)

-تعمق الوعي الحضاري والإحساس بالاختلاف بين الحضارات المصاحب للعداء بينها بسبب الزيادة في التفاعلات بين الشعوب التي تنتمي لحضارات مختلفة.

-عمليات التحديث الاقتصادي والتغير الاجتماعي تفصل الناس عن الهويات المحلية وكذلك تضعف الدولة القومية بوصفها مصدراً للهوية الذاتية ويتحرك الدين لسد هذه الثغرة في الهوية (صموئيل، 1994م، ص 118)

-يتعزز دور النمو الحضاري بفعل الدور المزدوج للغرب خاصة وأنه في قمة عطائه وقومه ونتيجة لذلك يتبنى غير المنتمين للحضارة الغربية ظاهرة العودة للجذور الثقافية لهم (صموئيل، 1994م، ص 118)

من أبرز الأفكار التي ذكرها هينتنغتون أهمية بعد تأكيده على العامل الثقافي هي أننا أمام حقبة جديدة لن تكون فيها الدولة القومية محط الاهتمام وإن كانت ستبقى كوجود رئيسي على المسرح العالمي، وذلك حسب قوله: "...لأن الناس أصبحوا يميلون للاندماج في كينونة أكبر من دولهم الصغيرة، فالألمان مثلاً أصبحوا ينظرون إلى أنفسهم كأوروبيين أكثر من كونهم ألمان وهذه الفكرة هي التي بدأت تنتشر بأنماط مختلفة في العالم كله، و أن الدول مازالت تشكل الفاعل الأساسي في الساحة الدولية لكن لا بد من إدراك أن تجمعات الدول لم تعد تتشكل في إطار الكتل الثلاث للحرب الباردة (الشرق، الغرب والعالم الثالث) بل إننا نتطور في ظل تجمعات ثقافية كبرى تتمحور حول سبع أو ثمان حضارات (محمد، 2006م، ص 26)

-الخوف من الإسلام في صراع الحضارات:

تعتبر فكرة صدام الحضارات من أخطر النظريات الصدامية التي أنتجها المفكرون الغربيون لما تحمله من حث للمجتمعات الغربية على مجابهة الحضارات الأخرى وعلى رأسها الحضارة العربية الإسلامية، حيث يقول هينتنغتون أن المشكلة الأساسية بالنسبة للغرب ليست الأصولية الإسلامية بل الإسلام فهو حضارة مختلفة أفرادها مقتنعون بسمو ثقافتهم ومهووسين بضعف قوتهم (فاطمة، 2008م، ص 28)

يعتبر هينتنغتون أن الفروق بين الحضارات هي التي تؤدي إلى الصدام وأبرزها التمايز في مقومات الحضارة وفي التاريخ واللغة وخاصة الدين، كما أن احتكاك الشعوب ببعضها البعض والتفاعل بينها يساعد على بروز الفروق بين الحضارات وازدياد الوعي بها، إضافة إلى انعكاسات التحديث الاقتصادي والاجتماعي على الهويات القومية والوطنية مما ولد الرغبة في صيانة الهويات من الاختراقات الأجنبية وكذلك ازدواجية النموذج يقتدى به اقتصاديا وتنمويا وكنموذج غير مرغوب فيه ثقافيا وقيميا (فاطمة، 2008م، ص 31) منحت أحداث 11 سبتمبر 2001م في الولايات المتحدة مصداقية أكثر لمقولة هينتنغتون حيث أفرت له أحد المجلات الأمريكية مقالا عن حياة ونظرية هينتنغتون بعنوان "جورج بوش وجه دعوة للنبي لإلقاء محاضرة في البيت الأبيض أواسط سبتمبر 2001" حيث علقت الصحيفة أن نظرتة الباردة لحقيقة العالم والتي كانت دائما موضع جدل برهنت الأحداث بقوة على صحتها (مرسي، 2010م، ص 05)

لقد ساهمت أفكار هينتنغتون في صياغة رأي عام غربي يرفض التعايش مع الذين يعيشون في الغرب خاصة في ظل الهجمات التي تعرضت لها الدول الأوروبية في عدة مناسبات مثل اعتداءات مدريد 2004، مترو باريس 2005 و اعتداءات لندن 2005م.. والتي اتهمت في ضلوعها شخصيات عربية إسلامية مقيمة بالدول الأوروبية فزاد ذلك من خوف الأوروبيين من المهاجرين وتنامي نفوذ الأحزاب اليمينية فانعكس ذلك على موقف السلطات والحكومات الأوروبية من المهاجرين وقضية إدماجهم لتحول سياستها من السعي لإدماجهم إلى السعي لطردهم، وقد اتفق هينتنغتون وفكره مع توجهات الأحزاب اليمينية الأوروبية حيث برر سلوكياتها برغبتها في الحفاظ على هويتها

5- النظرة الإسلامية لصراع الحضاري:

تقوم العلاقات الإنسانية في الرؤية الإسلامية على التعاون والتعارف على البر والتقوى منمنطلق وحدة الجنس البشري ووحدة الأصل المنبثق عن المشيئة الإلهية يقول الله تعالى: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" (الحجرات، الآية 13) ففي الإسلام كلما اتسعت مساحة المعرفة المتبادلة بين الشعوب والأمم على مختلف المستويات ضاقت مساحة الخلاف وانزوى الاختلاف وتراجع وفقد القدرة على التأثير السلبي الذي يلحق الضرر بالمجتمعات الإنسانية. (عبدالعزیز، 2015م، ص 26)

التدافع الحضاري من المنظور الإسلامي هو سنة الله في الكون ولا يعني ذلك أن الحياة تسير وفق خط بياني صاعد ومتردد تتحقق فيه المصالح والمنافع للناس كافة في جميع الأحوال، فالتدافع يبطل الصراع والحضارات تتدافع ولا تتصارع ففي الإسلام الصراع حالة عارضة وهو شذوذ عن القاعدة وليس طبيعة من الحضارات، و الترويج لفكرة صراع الحضارات أو صدامها يخدم أغراض فئة معينة تسعى لإحكام سيطرتها على مقاليد الأمور في العالم ككل، وهي أغراض ليست بريئة ولا صلة لها بالأهداف الإنسانية النابعة من المبادئ والقيم الحضارية (عبدالعزیز، 2015م، ص 30)

فالرؤية الإسلامية لقضية العلاقات بين الشعوب في العالم تتسم بالاعتدال والوسطية والشمول والعمق، والمفهوم الإسلامي للحوار بين الحضارات يصطبغ بصبغة التسامح والتسامي وينطلق من عقيدة التوحيد والإيمان بوحدة الأصل الإنساني، فهذا الصراع مفتعل في مسيرة التاريخ البشري (عبدالعزیز، 2015م، ص 05)

إن التصور الإسلامي لا يكرس الصراع كقانون تاريخي كما أنه لا يلبس صراع المصالح والقوى لباسا دينيا، لكن الصراع في التصور الإسلامي بمعنى التدافع فالجهاد في معناه الواسع ليس صراعا مع الآخر للقضاء عليه لكن أداة الدعوة ونشرها ومن ثم فالحرب أحد أدواته (عبدالعزیز، 2015م، ص 06)

6- نقد نظرية صراع الحضارات:

يعكس منطق صدام الحضارات في فكر هينتنغتون كل التناقض بين عالمية الإسلام وهيمنة الحضارة الغربية أو عولة النموذج الحضاري الغربي، حيث يعكس تكريسا لهذه الهيمنة وكيفية استمرار قوتها بأساليب إكراهية قسرية إجبارية أفاض في تحديد نهاية مقالته الشهيرة صدام الحضارات، في حين أن مفهوم التدافع ينبثق من مفهوم عالمية الإسلام.

انقسمت الاتجاهات الجدلية حول أطروحة هينتنغتون إلى ثلاثة آراء:

-الأول: يؤكد مقولات هينتنغتون و يرفض إمكانية الحوار انطلاقا من حقائق اختلال توازن القوى الدولية و سياسات القوى الغربية تجاه الجنوب أو العالم الإسلامي باعتبار أن مبعث هذه السياسات هو الأبعاد الثقافية الحضارية أي أن مبعثها هو الصراع الحضاري من جانب الغرب ضد العالم الإسلامي.

-الثاني: يرفض أن تكون العلاقة بين الحضارات هي المفسر الأساسي للعلاقات الدولية انطلاقا من رؤية واقعية لهذه العلاقات، كما ترفض تسييس الحضارات دفاعا عن التعددية الثقافية والحوار بين الثقافات.

-الثالث: يقول إن الحوار أو الصراع هي حالات للعلاقة بين الحضارات، والحالة الدولية الراهنة لا تسمح بحوار ثقافات أو حضارات حقيقي نظرا لاختلال ميزان القوى بحيث لن يقود الحوار إلى فرض نمط حضاري على الآخر. لكن الحوار ضروري للخروج بالعالم من أزمتة الراهنة، إلا أنه لا بد من توافر الشروط ليحقق أهدافه الحقيقية ووفق ما يقتضيه مفهوم الحوار ذاته أي باعتباره سبيلا للتفاهم المشترك وإزالة العوائق أمام العلاقات السلمية (عبد العزيز، 2015م، ص 06)

كما أن هينتنغتون قلل من دور الدولة ليضع محلها الحضارة ككيان سياسي متماسك سيمين على مسار السياسة الدولية إذ يقول فؤاد العجمي في هذا الصدد أن هينتنغتون يرى محاربة الدول لبعضها من أجل الروابط والولاءات الحضارية في حين أنها تتعلم كيف تتنافس في اقتصاد عالمي لا يعرف الرحمة (محمد، 2006م، ص 26)

فالدول هي التي تتحكم بالروابط والعلاقات الحضارية وليس العكس، أي أنها تؤكد على هذه الروابط فقط إذا أرادت أن تخدم مصالحها السياسية والاقتصادية ومثال على ذلك نجد أن الألمان يجذبون نجو الوحدة الأوروبية أكثر من القومية الألمانية يرغم الاختلاف الثقافي واللغوي والمذهبي مع شعوب أوروبا وما يفسر السبب هو عدم قدرتها مواجهة الولايات المتحدة الأمريكية لوحدها من الناحية الاقتصادية (باحثين، 1994م، ص 129)

فالواضح أنه لا الأديان ولا الثقافات ولا حتى الحضارات تسيطر على الدول بل العكس الدولة هي المسيطر الأساسي وتفسرها كما تشاء، فهي لا تهمها الهويات الثقافية أو الحضارية لكن ما يهمها هو تحقيق مصلحتها بطرق أخلاقية أو لا أخلاقية

إن إغفال هينتنغتون لدور الدولة أو التقليل من شأنه في الصراعات والتفاعلات الدولية المستقبلية هي النقطة الضعف الأساسية التي تجعل من تحليله غير واقعي يتناقض مع ما للدولة من دور على الساحة العالمية، رغم الاستدراك الاضطراري لهينتنغتون بقوله إن الدول تمثل القوى الفاعلة في الشؤون الدولية (صماوئيل، 1994م، ص 73)

وبقراءة أخرى من زاوية أخرى نجد أن نظرية صراع الحضارات التي جاء بها تزامنت وأحداث الحادي عشر من سبتمبر والتي غيرت مجرى الأحداث وستغير وقد جعلت هذه الأحداث من كلامه حول صدام الحضارات والانتماءات الدينية المتشددة والصراع الديني أمرا واقعيًا والدليل أن جورج بوش الابن جعله المستشار ولقبه بالنبي الذي توقع كل شيء ونظريته صاغت حربا صليبية على الإسلام والمسلمين وأصبح مرادف الإسلام هو الإرهاب ومن هنا نجد التناقضات التالية

أولها أن الغرب من خلال رفع شعار الطائفية والتكفير الديني وأن المسلمين يكفرون المسيحين هدفهم في ذلك هو

إبعاد شعوبهم عن الحقيقة والثاني هو إبعاد المسلمين عن واجب إيصال الحقيقة الى هذه الشعوب لان ميزان العلاقات سيكون العداء فقط

ثانيها هذه الاحداث التي تسببت في كارثة على شعوب العالم الإسلامي منها اجتياح أفغانستان 2002م والعراق 2003م واليمن وغيرها بحجة محاربة الإرهاب التي تتزعمه القاعدة بقيادة أسامة بن لادن وأيمن الظواهري كما تدعي الولايات المتحدة الأمريكية وكما يشير هنتغتون في نظريته وهذا مناقض للتاريخ والواقع لان الولايات المتحدة الأمريكية مع السعوديين كونت تنظيم القاعدة لمحاربة السوفيات عندما اجتاحوا أفغانستان 1979م وقال ريغن وقتها أن الإسلام صديق للولايات المتحدة وأنه رمز لمحاربة السوفيات الملحدون ومن بعد ذلك عندما انتهى الاتحاد السوفياتي، وزال العدو العقدي عاد العدو الابدي الإسلام وأصبح مصدر القلق والإرهاب المعروف بأننا ان قمنا بقراءة سهلة وبسيطة للخارطة السياسية للعالم نجد أن هنالك شعوب تذبج بدون أن يكون للولايات المتحدة الأمريكية أي تدخلات والدليل ما يفعله المينمار في مسلمي الروهنغا وما تفعله الصين في هونغ كونغ ومسلمي الإغور وأيضا النظام الهندوسي في الهند والذي يقمع المسلمين دون تدخل أليس هذا إرهاب وتطرف أغفل هنتغتون نقطة مهمة وهي أن الإسلام ليس فرد بل هو دين يدخل القلوب والعقول ولو كانت في بروج مشيدة زمن الخطأ اعلان العداء للإسلام والكثير من المجتمعات الأوروبية والأمريكية تعتنق الإسلام أي ان الإسلام لا يرتبط بالعرب او الآسيويين ومن هنا إن أخذنا بنظريته فشعوب أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية ستدمر نفسها بنفسها

الحقيقة واضح الولايات المتحدة الأمريكية دولة تعتمد في اقتصادها على الحروب وبعد نهاية الحرب الباردة كان لا بد عليها أن تبحث على عدو جديد توهم شعوبها بخطورته وكان الإسلام هو عدوها الجديد الذي يسمح لها بالتدخل في شؤون العالم فهي تدعى محاربة الإسلام المتطرف وتندى أنها أكبر متطرف في عالم فبحجة أنها تحارب تنظيم داعش دمرت سوريا عن بكرة أبيها وليبيا واليمن" الى أين تريد الوصول أعتدما ندافع عن أوطاننا نصبح إرهابيين. ونظرية صدام الحضارات في نظرنا نحن المسلمين غير صحيحة كليا لأننا تعلمنا أن لا إكراه في الدين ونحن المسلمون لا يمكن أن نجتمع معهم اليوم أو غدا على رأي واحد لان الاختلاف العقدي بيننا لا يمكن تعديله أو إلغائه. (محمد، 2006م، ص73)

خاتمة

أصدر هينتنغتون نظريته الشهيرة الموسومة بصدام أو صراع الحضارات في نهاية القرن التاسع عشر، لكنه لم تلق الصدى الذي شهدته بعد أحداث 11 سبتمبر 2001م عندما رأى العالم الغربي أن عليه أن يغير نظريته وسياسته للعالم الإسلامي بصفة عامة.

وخلاصة لما سبق أمكن التوصل إلى الاستنتاجات التالية:

- ظهرت نظرية صدام الحضارات هي الوقت الذي تغير فيه الصراع العالمي من صراع بين الشرق والغرب إلى صراع بين الشمال والجنوب أو بالأحرى إلى صراع بين العالم الإسلامي والعالم الغربي.
- إن التدافع والصراع سنة تاريخية لتحريك مجرى الحياة نحو الأحسن ودفع الحضارة نحو النمو والازدهار.
- من خلال نظرة شاملة لمسرح الأحداث العالمية نلاحظ أن الصدام صدام بين الدول في الظاهر، لكن الذي يختفي خلف كواليس الحروب هو الثقافات والايديولوجيات وهي الحضارة.

المراجع

1. مجموعة من الباحثين، (1994)، صراع الحضارات آراء ومناقشات، مجلة شؤون سياسية، ع1، بغداد.
2. التويجري عبد العزيز بن عثمان، (2015م)، صراع الحضارات في المفهوم الإسلامي، ط2، منشورات المنظمة

الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة.

3. مشري مرسي، (2010م)، جدلية العلاقة بين الإسلام فوبيا وحوار الحضارات، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف
4. لكعص فاطمة، (2008م)، أحداث 11 سبتمبر وانعكاساتها على المنظومة الحضارية العربية والإسلامية، مذكرة ماجستير في العلاقات الدولية، جامعة الجزائر.
5. سعدي محمد، (2006م)، حول صراع الحضارات، إفريقيا الشرق، المغرب.
6. هينتنغتون صموئيل، (1994م)، صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي، تر: نجوى أبو غزالة، مجلة شؤون سياسية، ع1، بغداد.
7. الداوي عبد الرزاق، (2007م)، الخطاب عن حرب الثقافات في الفكر الغربي، مجلة عالم الفكر، ع2.
8. راهي قيس ناصر، (2012م)، دور الدولة في أطروحة صدام الحضارات لصموئيل هينتنغتون-دولة المملكة العربية السعودية نموذجاً، مجلة الخليج العربي، ع1-2.
9. توينبي أرنولد (2006م)، الحضارة في الميزان، تر: أمين محمود الشريف، ط2، منشورات الوزارة الثقافة السورية، دمشق.
10. بن نبي مالك، (1986م)، شروط النهضة، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق.
11. بن خلدون عبد الرحمن، (1992م)، المقدمة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.
12. بن نبي مالك، (1988م)، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، تر، بسام بركة وأحمد شعيبو، دار الفكر، سوريا.
13. فوكو ياما فرانسيس، (1992م)، نهاية التاريخ وآخر البشر، تر: حسين الشيخ، ط2، دار العوم العربية، بيروت.
14. مؤنس حسين، (1978م)، الحضارة، سلسلة عالم المعرفة، ع1، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
15. زيادة معن، (1986م)، الموسوعة الفلسفية العربية، ط1، مج1، معهد الإنماء العربي، بيروت.
16. يشوق سناء هاشم، (2011م)، المنهج التاريخي عند أرنولد توينبي (1889-1975)، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة دمشق.
17. صبري مقلد إسماعيل: الاستراتيجية والسياسة الدولية، ط2، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت.
18. بوربي كيبش عبد الكريم وعبد اللطيف: إشكالية الصراع الحضاري في مرحلة العولمة، مجلة الفكر، ع3، جامعة بسكرة.
19. الخطيب سليمان، (1986م)، أسس مفهوم الحضارة في الإسلام، ط1، الزهراء للعلوم العربية.